الوهاب

الاسم هو الوهاب ، فهب اللهم لنا من لدنك رحمةً تسعنا في الدنيا والآخرة إنك أنت الوهاب .

بادىء ذي بدء ، الإنسان عقل وقلب ، بعقله يعرف الله ، وبقلبه يحبه ، وهذا الاسم كما يرى العلماء متعلق بالحب ، وقبل أن أشرح معنى الوهاب لغةً واصطلاحاً أضرب مثلاً مُنتَزَعاً من الحياة اليومية :

قد نتعرف إلى شاب فقير جداً يعاني من شظف العيش ومن خشونة الحياة ، فلو أن إنساناً اختاره زوجاً لابنته ، وابنته هذه مهذبة متعلمة مؤمنة طيّعة ، ومنحه منزلاً ومتجراً ومركبة ، ألا يمتلىء قلب هذا الشاب حباً وحمداً وشكراً لهذا الرجل الذي أنعم عليه بكل هذه النعم ؟ هذا شأن الإنسان مع من أحسن إليه من العباد ، فكيف إذا أحسن إليه رب العباد ؟

« يا داود! ذكّر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » .

القصد من معرفة اسم الوهاب أن تحب الله عز وجل ، لأنه لا إيمان لمن لا محبة له ، ليس الإسلام حقائق ندركها فحسب ، بل هو حقائق ومشاعر ، أن يكون العقل مدركاً لوجود الله ، ولعظمته ،

ولأسمائه الحسنى ، وأن يكون القلب مفعَماً بحب الله .

سأضع بين أيدي القراء الكرام هذه الحقيقة فأقول : إنَّ الذي يحرك الإنسان حبُّه أكثر مما يحركه عقله ، فالإنسان بدافع الحب يقدم الغالي والرخيص والنفس والنفيس ، بدافع الحب يقدم كل شيء ، بدافع العقل قد يقتنع ، وقد يعتقد ، وقد يوقن ، ولكن لا يتحرك .

لذلك فالدعاة إلى الله يجب أن يخاطبوا العقل والقلب في وقت واحد ، ربما إذا أحدثوا في العقل القناعة فهذا نصف النجاح ، أما إذا أحدثوا في الإنسان ، بالإضافة إلى قناعة العقل ، موقفاً أساسه الحب فهذا كل النجاح ، أنت قبل كل شيء إنسان ذو عقل ولك قلب ، العقل إذا أعمَلْته في الكون عرفت الله ، وإذا أدركت النعم الإلهية أحببته بقلبك ، وإذا أحببت الله فقد أحسنت التوجّه ، لا يُسمى الإنسان إنساناً إلا إذا أحب .

مرةً كنا في الجامعة وقد أحيل أحد الأساتذة إلى التقاعد وأقيمت له حفلة طيبة وهو أستاذ علم النفس ، قال هذه الكلمة ولا أنساها :

« **الإنسان الذي لا يشعر برغبة في أن يُحِب ولا يشعر برغبة أن يُحَب فليس من بني البشر** » ، لا يمكن أن تُسَمَّى إنساناً إذا كان قلبك صخراً ، أو إذا كان قلبك جلموداً .

إذاً لا بد من أن تُحِبَّ ، الشيء الذي يلفت النظر هو أن أصحاب النبي عليهم رضوان الله ، لماذا فعلوا المستحيلات ؟ لماذا باعوا أنفسهم ولماذا ضحوا بكل شيء ؟ أحدنا لو جرحت يده أو أصبعه لصاح ولضمدها ولاعتذر عن لقاءاته ولأخذ إجازةً . . . سيدنا جعفر بن أبي طالب تأتيه في غزوة مؤته ضربة سيف تقطع يمينه فيُمسك الراية

بشماله ، تأتيه ضربة سيف أخرى تقطع شماله ، فيمسك الراية بعضديه إلى أن يخِرَّ شهيداً ، ما هذا الحب الذي أدى بصاحبه إلى التفاني ثم للاستشهاد ؟!

الخنساء قبل أن تُسلم ملأت الدنيا صخباً وعويلاً على أخيها صخر ، فلما حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم :

يابني أنتم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله غيره ، إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غبرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإذا أصبحتم غداً فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ولله على أعدائه مستنصرين فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدموا واحداً بعد واحد ينشدون الأراجيز ، فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته فكان عمر رضي الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد منهم مائة درهم حتى قبض وماتت الخنساء[١] .

---

(١) ذكر الحافظ في الإصابة في ترجمة الخنساء عن الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن المخزومي وهو المعروف بابن زبالة . . فذكر قصة الأبناء الأربعة ، لكن الحافظ ذكر أن ابن زبالة أحد المتروكين ، وقد نسب ابن جرير الطبري في تاريخه هذه القصة إلى امرأة من بني النخع .

زيد بن الدَّثِنَّة وهو على مشارف القتل ، صلبه المشركون في جذع نخلة ، تمهيداً لرميه بالسهام ، قال له أبو سفيان : أنشدك الله يا زيد! أتحب أن يكون محمدٌ مكانك ؟.. الكلام الشائع الآن : « ألف أم تبكي ولا أمي ».. أنشدك الله يا زيد أتحب أن يكون محمدٌ عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟.. قال : « **والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي** » ما هذا الحب ؟ اقرؤوا تاريخ الصحابة أيها القرّاء الكرام تجدوا العجب العجاب ، تجدوا تضحيات لا توصف ، مصدرها حب الله ورسوله .

سيدنا الصديق وهو خليفة رسول الله ، من أعماله الطيبة أنه كان يحلب شياه جيرانه ، يبدو أنه قد توفي الزوج وليس عندهم من يرعى شؤونهم ، فكان يقوم يومياً بحلب شياههم ، فلما صار خليفة ظن الجيران أنه سينقطع عن هذه الخدمة ، وفي اليوم التالي طُرِقَ الباب وفتحت البنت ، قالت الأم : يا بنيتي من الطارق ؟ فقالت البنت : يا أمي جاء حالب الشاة... ما هذا ؟ رئيس دولة ، خليفة رسول الله.. الذي ظهر من الصحابة من فعالهم شيء لا يصدق كأنه الأساطير ، أساسه الحب ، لأنهم أحبوا الله عز وجل ورسوله .

وأنا أقول لكل قارىء كريم : الذي يبذل ويضحي ويقف عند حدود الله ويتجشم المشاق في سبيل الله فالذي حركه هو الحب ، والذي يُسْعِده هو الحب ، فلن تَسْعَدَ إلا إذا أحببت الله عز وجل ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ بابه مفتوح .

هناك شخصيات يفتح بابها لأناس دون أناس ، يقبلون أناساً

ولا يقبلون آخرين ، يُستَرضَون وقد لا يرضون ، ولكن الله سبحانه وتعالى بابه مفتوح لكل الخلق فقد روى الترمذي بسند حسن من حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه أنه قال : . . . فمازال يحدثنا ـ يعني رسول الله ﷺ ـ حتى ذكر باباً من قبل المغرب مسيرة سبعين عاماً عرضه ، أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً ، قال أبو سفيان قبل الشام ، خلقه الله يوم خلق السماوات والأرض مفتوحاً يعني للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه .

إذا تأملنا في اسم الوهاب بحسب فطرتنا وبحسب جبلتنا فالقصد أن يمتلىء قلبنا حباً لله ، فإذا امتلأ قلبنا حباً لله رأينا من معاملة الله لنا ، ومن تجليه على قلوبنا ، ومن التوفيق ، ومن السَّداد ، ومن الرشاد ما نعجز عن بيانه ، ورأينا من الشعور بالتفوق ، ومن الشعور بالفلاح ما لا سبيل إلى وصفه .

إذاً الإيمان أساسه الحب ، **فلا إيمان لمن لا محبة له** ، هذا القلب متى يضطرب ؟ من علامة المؤمن أنه إذا ذُكِرَ الله وجل قلبه :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

هذا من علامة القلب المؤمن بربه ، فالإنسان لا يجامل نفسه ولا يتملّق نفسه ، بل يتعهد قلبه ويتفحصه ، ويسأل نفسه السؤال الحرج ، أنا مَن أُحب ، دائماً دعوى الحب كثيرة فكل يدعي وصلاً بليلى ، لما كَثُر دعاة المحبة طالبهم الله بالدليل ، قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

نحن غارقون في النعم ، لاحظْ نفسك لو ركبت سيارة عامة وبجانبك صديق دفع عنك ثلاث ليرات ونصف ، تشكره وتبالغ في شكره وتخجل ، وقبل أن تنزل تدعوه إلى البيت ، لأنه دفع عنك ثلاث ليرات ونصف.. راقب نفسك ، لو أن إنساناً قدم لك هدية فإنك تذوب خجلاً أمامه ، تعبر عن امتنانك وعن شكرك وعن محبتك وتعده بزيارة ، وتدعوه إلى بيتك لأنه قدم لك هدية ، هكذا النفس البشرية .

« يا داود! ذكر عبادي بإنعامي عليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » .

فما الفرق بين المؤمن والكافر ؟ الكافر يبقى في النعمة ومع النعمة حبيساً ، لكنك تجد المؤمن ينتقل منها إلى المنعم[1].. معقول أن تدخل إلى بيت وأنت في حال جوع شديد وترى طعاماً شهياً ؛ ألواناً منوعةً ، أطعمة فاخرة ، مقبِّلات ، طعام من الدرجة الأولى ، من بعده الحلويات والفواكه ، وتأكل بنهم ثم تنتهي من الطعام وتتجه نحو الباب وتخرج ، أهكذا شأن الإنسان ؟ لا حظ نفسك لو أن أحداً دعاك إلى طعام فقبل أن تنتهي من الطعام تقول له : « أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » ثم تقول له : نعمة دائمة أو أكرمتنا أكرمك الله ، وأسأل الله أن يديم عزك وأن يبارك فيك وأهلك ، تفتنُّ بالعبارات شكراً وامتناناً ، وتذوب استحياء.. لماذا إذا جاءتك نعمة

---

(١) حين خاطب الله بني إسرائيل قال : اذكروا نعمتي ، وحين خاطب هذه الأمة قال : فاذكروني .

من إنسان تذوب استحياء ؟ وإذا أنعم الله عليك بنعم لا تُقدّر تبقى صامتاً غافلاً !!!

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد : ٨] .

ترى ابنك الصغير ، ترى أهلك ، ترى إخوانك ، ترى الغابات ، ترى الأشجار ، ترى الأزهار ، ترى مَن تحب ، ترى معالم الطبيعة ، ترى الألوان ، ترى الأشخاص ، تسير في الطريق مرتاحاً مطمئناً ، الطريق واضح أمامك ، تقرأ ، تطّلع تُطالع تنظر تستمتع :

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد : ٨ـ٩] .

مرةً دخلت إلى محل إنسان لا يتكلم ويعمل في بخ (طلاء) قطع الأثاث ، وأردت أن أتكلم فأشار إلي أن أتحدث مع الصانع ، فتكلمت مع الصانع ، نظرت فرأيت لغة جديدة بينهما ، فقال له : يريد أن يبخَّ غرفة نوم ، بالإشارة ، قال للصانع : هل يريد مواد مستوردة أم تصنيع محلي ؟ ، وأنا ألاحظ هذا الحديث الطويل بالإشارة ، ، قال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : ٨ـ١٠].

تتكلم وتعبر عن مشاعرك وعن أحوالك وعن قناعاتك ، تقول : قرأت اليوم مقالة كذا ، تعبر عن تفسير آية ، عن قصة ممتعة ، تتصدر المجالس تتحدث مع أهلك وأولادك .

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ .

علمونا في الجامعة في كلية التربية أن الإنسان حينما يولد لا يملك إلا منعكساً واحداً ، منعكس المصّ ، صُنْعُ الله الذي أتقن كل شيء ، لو فرضنا أن أحدهم مسَّته جمرة لفافة تبغ ، يسحب يده قبل أن

يفكر ، فإذا جاء تنبيه عصبي بالحرارة فالأمر لا يأتي من الدماغ بل من النخاع الشوكي ، هذا يسمونه المنعكس الشرطي ، اكتشفه عالم يدعى « بافلوف » ، فالإنسان حينما يولد ليس لديه إلا منعكس شرطي واحد ، ولولا هذا المنعكس لما كنا ، ولما عاش إنسان ، فلمجرد أن يولد الطفل يُعطى ثدي أمه يضع شفتيه على ثديها ، يُحكِم شفتيه على حلمة الثدي ، ولو سمح للهواء أن يمر لما استطاع الرضاعة لابد من إحكام شفتيه على حُلمة الثدي ، وبعدئذ يسحب الهواء ، هذا منعكس معقّد جداً ، حينما يولد الإنسان تجده مزوداً بهذا المنعكس .

وما سوى ذلك من المنعكسات والمفهومات لا وجود له في هذه الفترة ، يصف الطفل الصغير كل رجل أنه أبوه ، بعد حين يقول : عمو ، فصل أولاً بذهنه بين مفهوم الوالد ومفهوم العم ، أول فترة كلُّ رجلٍ أب ، وبعد ذلك يظهر عنده مفهوم الرجل ، ثم يَفصل مفهوم الرجل عن مفهوم العم والوالد ، كيف تنشأ هذه المفاهيم ؟ يقول شجرة فيتصور الطفل معنى الشجرة ، لا يتصور برتقالة ولا جوزة ، يتصور مفهوماً مجرداً ، شجرة ، لو تتبعنا كيف تتشكل في الدماغ المفهومات والمصطلحات ؟ كيف يتعامل الإنسان ويفكر ؟ كيف يتعامل بالرموز ؟ عالم قائم بذاته !!

مئة وأربعون مليار خلية سمراء لم تعرف وظيفتها بعد في الدماغ ، فالدماغ عاجز عن فهم ذاته ، فالفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن ينتقل من النعمة إلى المُنْعم ، وغير المؤمن من الكفار والفُسَّاق والفُجّار يستمتعون بالنعم أعلى استمتاع ، ولكنهم غفلوا عن المنعم ، وغَفْلَتهُم عن المنعم سوف تودي بهم إلى النار إلى أبد الآبدين ، أما المؤمن فيفكر من أين هذه النعمة ، كل امرىءٍ متزوج يدخل إلى بيته

فيلقى زوجة لها مشاعر ولها تفكير ، يجد الطعام جاهزاً والبيتَ نظيفاً ، هذه هبة من الله عز وجل لا تقدر بثمن .

الإنسان في ساعة غفلة يقول : أنا تزوجت ، وأنا تعبت وسعيت بكد يميني ، وعرق جبيني ، وأسست هذا البيت وفرشْته ، وجمعت مهراً ، واخترت فلانة ، كلها نعم يراها ولا يرى المنعم ، فهذه هي الغفلة عن الله عز وجل ، هذه الزوجة هدية قدمها الله لك ، وهذا الطفل الذي يملأ بيتك سروراً وسعادةً مَن جعله بهذه النفسية اللطيفة ؟ مَن جعله بريئاً ومَن جعله ساذجاً ؟ لو كان الطفل الصغير يتعامل معك تعامل الكبير لن تحبه ، إذا تكلمت معه كلمة ، خاصمك شهراً . . لكنك قد تؤنبه وتوبخه وبعد قليل يقبل عليك ويقبلك ، من جعل الطفل بهذه النفسية من الصفاء وبهذه الذاتية الشفافة ، مَن جعل الطفل بهذا الحب والهاً قلبه بأمه وأبيه ؟ إنه الله عز وجل ، إنه الوهاب .

في مجال علم النفس أجريت تجربة مفادها أن حياة الإنسان النفسية أساسها الدماغ ، هكذا يقول العلماء ، فوجدوا طفلاً دماغه سائلٌ ، حالة نادرة ، فصار يبكي فلما جاءت أمه سكت ، معنى ذلك أن في الإنسان نفساً ، هذه النفس حتى الآن لا يستطيع أحد أن يكشف حقيقتها ، أساساً « **الإنسان ذلك المجهـــول** » عنوان كتاب شهير محوره : أن العالم الآن ما عرف إلا شيئاً طفيفاً عن طبيعة الجسد ، أما طبيعة النفس فلا تزال سراً مجهولاً ، قال الله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾الإسراء : ٨٥] .

طبعاً هذه المقدمة ، وغايتي منها أننا إذا تحدثنا عن اسم الوهاب

ورأيت النعم التي وهبك الله إياها ، فلا بد من أن يكون منعكس هذا البحث حباً ، والحب من علامته الطاعة .

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في المقال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم الله الوهاب :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

[آل عمران ٨] .

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى : ٤٩] .

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥] .

وَهَبَ ، فعل ماض ، يهب فعل مضارع ، هَبْ فعل أمر ، معقول أن إنساناً يأمر الله عز وجل ؟! . . علماء البلاغة قالوا ، الأمر إذا كان من أدنى إلى أعلى فهو دعاء :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

فإذا كان من شخص مساوٍ إلى مساوٍ فهذا التماس ، مثلاً . . أنت موظف من المرتبة الأولى جالسٌ إلى الطاولة ، وأمامك بالغرفة نفسها موظف من المرتبة الأولى أيضاً لستَ رئيسه ، ولا هو رئيسك قلت له : رجاءً ، أعطني المسطرة مثلاً ، هذا ليس أمراً ولا دعاء بل ، هذا التماس ، فمن مساوٍ إلى مساوٍ : التماس ، لكن لو وجهت أمراً وأنت

معلم إلى طالب أو من ضابط ذي رتبة عالية إلى مرؤوسه فهذا اسمه : أمر إذاً **يخرج فعل الأمر عن معناه الحقيقي إلى الالتماس والدعاء وغير ذلك** . . . وهناك مثلاً أمر للإباحة ، قال الله تعالى :

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

رجل استيقظ في السحور ليس جائعاً ، فإذا لم يأكل أيكون قد عصى ؟ **لا** ، قال العلماء : هذا أمر إباحة . .

﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ ﴾ [المائدة : ٢] .

لا أريد الصيد ، فهذا أمر إباحة ، وهناك أمر ندب :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور : ٣٢] .

وهناك أمر وجوب :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦].

وهناك أمر تهديد :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩] .

اكفر إن شئت ، وانتظر ماذا يحصل لك ، مثلاً تقول الأم لابنها : اكسرها « تعني كأساً » لترى ، تقول له : اكسرها ، قالت له : اكسرها . أمر تهديد ، فالبلاغة ضرورية جداً لفهم كلام الله .

﴿ رَبِّ هَبْ لِى ﴾ . . معنى هب لي هذا دعاء ، وَهَبَ يَهَبُ هَبْ ،

صار الفعل من حرفين ، وهب فعل معتل الأول بالواو ، أحياناً يأتي الأمر حرفاً واحداً ، وقى يقي قِ ، قاف فقط : هذه القاف فعل أمر ، وفَى يفي فِ ، الفاء فعل أمر ، وأى يأي إِ ، همزة ، وهذه الهمزة فعل[١] .

والسؤال الآن : ما اسم الفاعل من هذا الفعل وهب ؟ . . واهب ، لكن ربنا وهَّاب ، وهاب صيغة مبالغة لاسم الفاعل .

أعطاك رجل قلم حبر ، هذا اسمه واهب . . وإذا أعطاك مركبة قال لك هذه هدية ، هذا لم يعد في نظرك واهب بل وهَّاب ، عندما يكون العطاء كبيراً نقول وهّاب ، وإذا كان العطاء يومياً متنوعاً أو كبيراً نستخدم صيغة مبالغة اسم الفاعل ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

ماذا وهبنا الله ؟ أول شيء وهبنا الله إياه هو نعمة الوجود ، في سجلات النفوس في دائرة الأحوال المدنية : فلان بن فلان مقيم في مكان كذا « **عمارة نارنجة خانة ٦٧ مثلاً** » فأنت موجود ، لك اسم في السجلات ، فمن وهبك نعمة الوجود ؟ الله عز وجل .

إذاً أنت متمتع بوجودك متمتع بصحتك متمتع بالطعام ، بالشراب ، متمتع بزواجك متمتع ببيت ، لك عمل لك شأن اجتماعي ، كلك ، وجودك مَن وهبك إياه ؟ الله عز وجل وهبك نعمة الوجود ، أوجدك وأمدك بكل شيء . فمثلاً ، كيف نتعامل مع الحجر بالحديد ؟ نريد أن نضع : « لساناً » « دلاية » بالحجر لغَلَق الحديد ، إذا حفرت الحجر ، وأدخلت الدلاية تنزل ، لكن ربنا خلق لنا معدناً

---

(١) ومنها كذلك : دِ : للأمر بدفع الدية ، وش : للأمر بشوي الطعام . . ، وعِ : ليكون المستمع واعياً ، وكِ : لكوي الملابس ، ولِ : للأمر بتولي ولاية . . وهكذا . .

نصهره بدرجة قليلة ، نصبه في الحفرة وحينما يبرد يتوسع ويثبت الحديد ويصير اللسان « الدلاية » جزءاً من الحجر لقوة التماسك .

مرةً لفت نظري حديقة ألغيت وقد ثبتوا سور حديد على الحجر ، ولما أرادوا إعادة فتحها قصوا الحديد قصاً ، سألت نفسي سؤالاً : لماذا قص الحديد ؟ لماذا لم ينزع ؟ فلما سألت قالوا : قصهُ أهون ألف مرة من نزعه ، لأنه مثبت بالرصاص ، فلو أن الله عز وجل لم يخلق الرصاص ، هل تستطيع أن تُعامِل الحديد مع الحجر .

ولاحِظْ طبيب الأسنان . . . كيف يضع لك حشوة الضرس لونها أسود ، ففيها رصاص ، تتوسع ، وخلق لك جبساً ، تصنع منه إسفيناً في الحائط ، تُدخل قطعة خشبة مع الجبس ، فعندما يبرد الجبس يتوسع ، كل شيء يبرد ينكمش ، لكن الله خلق مواد ومعادن مع البرودة يزداد حجمها ، هذا خلق وإمداد .

خلق ماءً ، لا لون له ولا طعم ولا رائحة ، لو كان الماء لونه زهر ، لضاق الإنسان بحياته ، لو كان الماء حلواً ، لأصبح الطعام وكل شيء حلواً ، لو كان الماء لزجاً ، بماذا يغسل الإنسان جسده وأشياءه ؟! . . تصور ماء كالقطر . . . لكن جعله الله سائلاً لا لون له ولا رائحة ولا طعم ، لو كان الماء يتبخر بدرجة مئة . . تنظف البيت في الشتاء فيبقى الماء على أرض المنزل وجدرانه إلى الصيف حتى يتبخر ، وهذه مشكلة حقاً ، فالماء يتبخر بدرجة أربع عشرة ، اسفح كأس ماء في غرفة بعد ساعتين يتبخر ، وكذلك ترى أن الماء يغلي بدرجة مئة ، لو كان يغلي بدرجة خمسمئة مثل الزيت لَحُرِق الطعام في أثناء الطبخ .

من أعطى الماء خواصه ؟ يغلي بدرجة مئة يتبخر بدرجة أربع عشرة ، له سيولة عجيبة يسري في أدق المسامات ، لا لون له لا طعم لا رائحة ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

أنتحدث عن الكون كله ؟ أنتحدث عن العين ؟ عن الأذن ؟ جاؤوا بإنسان وضعوا له في صيوان أذنه شمعاً فلم يعد يعرف من أين يأتي الصوت ، هذا الصيوان لو أنك درسته دراسةً هندسية ، فيه سطح بكل اتجاه فمن حيث جاء الصوت فإنه يواجه سطحاً يعكسه إلى الداخل ، ولتتأكد ضع يدك فوق الصيوان ترى أن الصوت قوي عندك ، فالصيوان يتلقى الأمواج ويعكسها إلى الداخل .

مَن أعطاك ذاكرة صوتية ، فتعرف الأصوات حتى من خلال الحديث بالهاتف ؟ وإذا سحقت قطعة زجاج تحت الباب ، تنزعج وتخرج من جلدك ، فهذا اسمه الضجيج ، وتطرب لصوت العصفور ، وهذا اسمه النغم . ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

من جعل الطعام ذا رائحة طيبة ، لو جعل الله الطعامَ المفيدَ رائحتُهُ كريهة والطعامَ غيرَ المفيد رائحتُهُ طيبة ، فكيف يحلو عيشك ، كاللحم إذا تفسخ له رائحة لا تطاق ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ كيفما تحركت أيها الإنسان ، وجودك ، المواد التي حولك ، حواسك ، كل هذه نعم من لدن الوهاب .

من وهبنا الشمس ؟ تدفع ثمن البيت مئة ألف زيادة إن كان ذا جهة قبلية ، والبيت الشمالي أرخص بمئة ألف ، هذه الشمس لا تنطفىء جذوتها ، قالوا : إن عمرها خمسة آلاف مليون سنة ، وطمأننا العلماء

قالوا : ستبقى خمسة آلاف مليون سنة أخرى ليس لنا مشكلة مع الشمس ، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

من جعل القمر في السماء تقويماً ، ﴿ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٢] ، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

مَن جعل الرياح تتحرك ، تنشط ، وتُنعش الإنسان ، تتبدل الأجواء بفضل حركتها فيزول ما علق فيها من تلوث أو غبار أو روائح كريهة ، فتحريك الرياح من نعم الله العظمى ؟

تخزين المياه :

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢] .

مرةً أجرينا حساباً درسنا من خلاله أن كل إنسان لو أراد أن يخزن احتياجه مِن الماء لمدة سنة تقريباً لاحتاج إلى خزان يعادل مساحة بيته تماماً ، فإذا كان بيتك مئة متر مربع فإنك تحتاج إلى خزان مئة متر مكعب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ .

تخزين المياه في الينابيع شيء يلفت للنظر ، صنعوا خزان ماء لتخزين مياه « نبع الفيجة » في دمشق ، قلدوا به تقليداً عملية التخزين الطبيعي ، تحت الأرض أربعمئة متر عمقاً لا ضوء ولا صوت ولا شيء ، من خزّنَ هذه الأمواه ؟ ، (أمواه جمع مياه) . ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

تعريف الهبة ؟ . . إذا قال رجل لآخر : وهبتك هذا الكتاب بمئة ليرة ، هذا الكلام في الشرع عقد بيع ، ما دام قال له : وهبتك هذا الكتاب بمئة ليرة ، فهذا عقد بيع ، ولا عبرة لكلمة وهبتك ، وإذا

قلت : بعتك هذا الكتاب بلا ثمن ، هذا عقد هبة ، فما تعريف الهبة إذاً ، « **تمليك بلا عوض** » لذلك بعض الناس حتى يتهربوا من ضريبة انتقال الملكية ، صاروا يقبضون الثمن سراً ، ويصرحون بالهبة ، فانتبهت الدولة ووضعت ضريبة على الهبة ، فهذا ليس هبة ، هذا بيع غير مصرح به ، الهبة **تمليك** بلا **عوض** .

إذا كان للرجل ابنٌ متديّن خلوق بار بوالديه خدوم لطيف مهذب ، فإذا قال : أنا تعبت في تربية ابني كثيراً ، ربيته وعلمته وحرصت عليه ، أهذا الكلام صحيح أم خطأ ؟ أنا أقول : إن هذا الكلام خطأ ، لأنه نسي الوهاب ، قال الله تعالى :

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأنعام : ٨٤] .

فيعني بلا عوض ، فإذا أعطاك الله ولداً بلا عوض فهذا هبة من الله ، وقد تكون أعظم إنسان قوةً وحزماً وعلماً ، فيأتيك ولد يحيرك ويجعل حياتك شقاءً ، وكثير من الأشخاص في أعلى مستوى من العلم أبناؤهم ضالون ، سمعت عن إمام مسجد من أكبر المساجد إذا ذُكِّرَ بابنه يموت من البكاء ، ابنه منحرف انحرافاً شديداً ، والأمر ليس بيد الإنسان بل بيد الله سبحانه ، فإذا وهب الله لرجل ابناً صالحاً مطيعاً باراً فلا بد أن يُقَبِّل الأرض شكراً لله عز وجل ، فلا يعزى صلاح ابنه وطاعته وبره لذكائه « **أنا أب ناجح أنا فوق رأس ابني** » إذا كان الابن منحرفاً فمهما كنت رقيباً عليه قد يتفلت منك ، فكلمة : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ﴾ تعني أن هذا عطاء بلا عوض ، فأنت لم

تقدم شيئاً ، أنت تلقيت هذه الهبة من الله عز وجل .

إذاً الهبة عبارة عن التمليك بغير عوض ، والوهاب : صيغة مبالغة من وهب ، بناءً على هذا التعريف هل يصح أن نقول : إن فلاناً وهب فلاناً ؟ أتصدق أن إنساناً في الأرض كلها يعطي شيئاً بلا عوض ؟ لنفرضه مؤمناً كبيراً فعِوضُه الثواب من الله عز وجل ، يطمع برضاء الله عز وجل ، أيقدم شيئاً بلا مقابل ؟ أينطلق إلى خدمة الناس بلا مقابل ؟ أيسعف المريض بلا مقابل ؟ أيدرّس حسبة ، أو يخطب حسبة ؟ أو يخدم بيت الله حسبة ؟ ثم يقول : لا أريد شيئاً ، أأنت مصدق أنه لا يريد شيئاً ؟!

لو أن رجلاً قال لمعلم : علِّم الطالب فلاناً دروساً خاصة ، وخذ على كل درس مليون ليرة ، تأخذها مني ، ولا تأخذ شيئاً منه ، لكنه أخيراً أخذ من الطالب مئة ليرة مقابل كل درس ، فلما أخذ مئة من الطالب فَقَد حقَّه عند الأول .

فالذكي لا يطلب الأجر من الناس ، بل يطلب الأجر من رب الناس ، فهل تصدق إنساناً يفعل شيئاً بلا عوض ؟ أعلى عوض أن تطلب رضاء الله عز وجل ، أن تطلب جنته ، أن تطلب ما عنده ، أن تطلب توفيقه ، إذاً لا بد من عوض .

فلا يصح أن نقول : فلان وهب إلا مجازاً ، لكن الإنسان أحياناً يهب شيئاً وبنيته المديح ، فهذا هو العوض ، ثناء الناس عليه هو العوض ، أحياناً يجود أمام الناس فيقدم مبلغاً ضخماً لجمعية خيرية ، ويتمنى أن يشيد الناس به ، يقول : أنا قدمت ، أنا أعطيت وبذلت ، يريد لوحة رخامية ، يريد أن يقرأ اسمه ليُعرف أنه صاحب السبيل ، أو

صاحب الخير ، لماذا هذا الكلام ، يريد عوضاً ، إذاً تمليك بلا عوض ، لا يكون إلا من حضرة الله عز وجل .

وشيء آخر ، إذا وهبك إنسان شيئاً فمن هو الواهب الحقيقي ، فمن ألقى في قلبه أن أعطِ فلاناً ؟ الله عز وجل .

أحد العلماء الأجلاء في طرابلس الشام ، يسكن في بيت أجرة ويبدو أن صاحب البيت أراد أن يخرجه من البيت والقانون معه ، فأقام عليه دعوى واستحق الحكم ، والعالِم ليس له بيت وهو رجل صالح ، والحادثة غريبة جداً ، فأحد كبار أغنياء طرابلس رأى في المنام رسول الله ﷺ وقال له اِشترِ لفلان بيتاً ، وهذا الرجل ميسور الحال فما صدَّق ، بحث عنه حتى وجده ، فقال له : انتقِ أي بيت ، ثم اشتراه له ، فهو يبغي الجزاء والثواب من الوهاب .

لا تظن أن إنساناً يعطي شيئاً إلا والله عز وجل قد ألقى في قلبه الدافع . . . أحياناً تكون أمام موظف يقول لك : موافق ، فإذا أردت الحقيقة فهذه من الله ، فإذا كان الله يريد أن يؤدبك يخلق لك ألف عقبة ، تحتاج المعاملة إلى توقيع ، تحتاج إلى تصديق من السفارة السورية في الدولة الفلانية مثلاً ، قال لي رجل : ثمانٍ وثلاثون شاحنة أنزلت بضاعتها أرضاً لأنها غير مصدقة من السفارة السورية في الدولة الفلانية .

فإذا قدم إنسان لك معونة يجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أن الله عز وجل ألقى في رَوع هذا الموظف أن يتساهل معك ، ألقى عطفاً عليك في قلبه ألقى رغبةً بمساعدتك .

بناءً على هذا ألا أشكر الموظف ؟ لابد من شكره ، فإذا قدم

أحدهم لك خدمةً ولم تشكره فهذا من الكفر ، لأنه أيضاً خدمك باختياره ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ » [رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه] .

إن هذا الإنسان خدمك ، وهو واعٍ وعاقل ، وخدمك بمحض اختياره فلابد مِن شكره ، لكن الله عز وجل ألقى في رَوعه ودفعه لخدمتك ، فيجب أن تشكر الله أولاً على أنه ألقى في قلبه رغبةً في خدمتك ، وأن تشكر هذا الإنسان ثانياً على أنه خدمك مختاراً ، والنبي الكريم ﷺ يقول :

« مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنِ اسْتَجَارَ بِاللهِ فَأَجِيرُوهُ وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » [رواه النسائي بسند صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنه] .

وللإيضاح أقول : المسلمون يعرفون كلمة ؛ الله يجزيك الخير ، وأكثرَ الله خيرك ، هذا شكر ناقص ، فإن قدَّم لك إنسان خدمة يجب أن تقدم له خدمة مقابلها ، أما إذا كنت عاجزاً ولا تملك ، فمقبول منك أن تقول : جزاك الله عني خيراً ، وهذه كبيرة جداً ، إذا كنت فعلاً عاجزاً عن رد جميله ، عاجزاً عن مقابلة هديته بهدية ، عاجزاً عن مقابلة خدمته بخدمة ، إذا كنت فعلاً عاجزاً وقلت له : « جزاك الله خيراً » فمقبولة منك .

روى الترمذي والنسائي بسند صحيح من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال : « من صنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء » .

إياك أن تظن أن الشكر على نعمة تكفيه بكلمة تقولها مثل : « أكثر الله خيرك ، فضلت » ، وإنما إذا خدمك إنسان خدمة وأنت تقدر على ردها فلابد من رد الجميل بمثله إن استطعت إلى ذلك سبيلاً ، فانظر ماذا فعل رسول الله ﷺ في مثل هذا الحال .

وعلمنا رسول الله ﷺ من موقفه عليه الصلاة والسلام مع سيدنا ربيعة بن كعب الأسلمي ، فسيدنا ربيعة خدم النبي عليه الصلاة والسلام . وبعد حين قال له : يا ربيعة سلني حاجتك ، فقلت لنفسي : سبحان الله نبي الله ، رسول الله ، ألا يستحق أن تقدم له خدمات بلا مقابل ، لقد رآها دَيناً عليه[1] ، هذا هو الكمال وصدق الله العظيم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

وأحذر أن تذكر أفعالك الطيبة للآخرين ، ولا تنس كل فعل طيب أُسدِيَ إليك ، فإذا خدمت إنساناً فالكمال يقتضي أن تنسى هذا المعروف ، وكأنك ما فعلته ، فأنت فعلتَه مع الله عز وجل ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩] .

أما إذا خدمك أحدٌ خدمة فإنه يعُدُّ جريمة إذا نسيت فضله ، « **من لم يشكر الناس لم يشكر الله** » ، مع اعتقادك أن هذا الذي جاءك عن طريق فلان هو حقيقة مِن الله عز وجل ، أولاً ألهمه ، ثانياً سمح له ، ثالثاً مكَّنه ، فلو ألهمه وما سمح له « يقول لك : العين بصيرة واليد

---

(١) الحديث رواه مسلم بلفظ : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : سل فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . . . الحديث ، والقصة بتمامها رواها الطبراني في الكبير من رواية ابن إسحق .

قصيرة وأحياناً إنسان يحب أن يخدمك ، فلا يقدر ، يقول لك : « لم أستطع » ، هو راغب في خدمتك ، ألهمه ولم يسمح له ، فإذا إنسان قدم لك خدمة فهذه يجب ألا تُنسى ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « **من أسلم على يد رجل فله ولاؤه** » . [رواه الطبراني والدارقطني والبيهقي بسند حسن من حديث أبي أمامة] .

الإنسان يعطيك حاجة تنتهي أثرها بانتهاء الحياة ، أما إذا ساق لك الله الهدى عن طريق إنسان ، فقد أسدى لك نعمةً يستمر أثرها فيك وفي ذريتك إلى أبد الآبدين ، فربنا عز وجل قال :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[الشورى : ٢٣] .

فإذا شرب الإنسان من نبع فليحذر أن يبصق فيه ؛ فإن هذا جحود وكفران بالنعم .

أُعلِّمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافيةً هجاني

فالذي ألقى في روع الإنسان أن يخدمك هو الله ، والذي مكن هذا الإنسان من أن يخدمك هو الله ، المُلهم هو الله والفعّال هو الله .

ينادى له في الكون أنَّا نحبه فيسمع من في الكون أمرَ محبنا

ألم يمرَّ معك أن إنساناً خدمك وتعجبت لماذا خدمك ، بلا معرفة سابقة معه ، وكان معك هيناً ليناً ، يسر لك أمرك ، فيه سماحة وتساهل ، ألم يمر بك هذا ، فالله ألهمه ، هو الملهم وهو الممكّن وهو الفعال ، إذاً موقفك السليم الموحِّد ، بادىء ذي بدءٍ ، أن تقول : يا رب لك الحمد .

السيدة عائشة رضي الله عنه لما نزلت الآيات بتبرئتها قال لها أبوها : قومي إلى رسول الله . . قالت : **لا والله! لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله** [متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها] . فالنبي ﷺ لم يقل شيئاً ، الأصل أن الله عز وجل هو الذي برَّأها ، ثم قامت إلى رسول الله ﷺ ، كذلك رجلٌ قال للنبي عليه الصلاة والسلام : ما شاء الله وشئت ، قال : جعلت لله نداً ؟ ما شاء الله وحده [البخاري في الأدب المفرد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما] .

قال بعض العلماء : « **الوهاب من يكون جزيل العطاء والنوال ، كثير المن والأفضال** » ، قال بعضهم : المَنُّ يفسد المَنَّ ، (جناس تام) ، كقولك : يقيني بالله يقيني ، إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة ، المرء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه ، هذا كله جناس تام ، وقد مر بالقرآن الكريم جناس :

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم : ٥٥] .

ساعة . . ساعة . قالوا : الوهاب من يكون جزيل العطاء والنوال ، كثير المن والأفضال واللطف والإقبال ، يعطي من غير سؤال ، ولا يقطع عن العبد فضله في كل حال .

والوهاب من يعطيك بلا وسيلة ، وينعم عليك بلا سبب ولا حيلة .

والوهاب هو الذي يعطي بلا عوض ، ويميت بلا غرض .

نحن عبيد لله عز وجل ، وكل ما نحن فيه فضل من الله عز وجل ، فيجب أن تعلم علم اليقين أن كل نعمة أصبحتَ بها فمن الله ، وكلكم

يعلم أن الشكر ثلاث مراتب ، أول مرتبة أن تعلم أن هذه النعمة من الله هذا أحد أنواع الشكر ، وأن يمتلىء قلبك حمداً لله ، وهذا هو النوع الآخر ، وأن تنطلق إلى خدمة العباد ، وهذا أرقى أنواع الشكر ، قال الله تعالى :

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

يعني : ياعبدي! إذا استقمت على أمري ، وخدمت عبادي ، ودللتهم عليَّ ، ورعيتهم ، ونصحتهم ، وعاونتهم ، وتكرمت عليهم ، فقد أحسنت لعبادي ، فهل أنساك من إحساني ؟ هل جزاء إحسانك يا عبدي إلا أن أُحسن إليك ؟! فالله شكور .

إذا لم يعاين المؤمن من الله معاملة طيبة جداً ، وأنها تكريم له من الله ، بل رأى أنها نظير استقامته وإخلاصه وخدمته ، فعنده إذاً خلل كبير وإخلاصه ضعيف جداً ، فمن علامة الإيمان أن ترى ما أنت فيه من نعمة من آيات الله الدالة على فضله ، وإن أنت خدمت عباده فإذاً لك عون الله سبحانه ، « **والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** » [رواه مسلم] .

هناك آية ثانية ، قال الله تعالى :

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

الوقائع والأحداث التي تؤكد أن الله وهاب كثيرة جداً في كل مكان وكل زمان ، لكن حادثة وقعت لأحد إخوتنا الكرام يعمل في محلٍ دخله بالشهر ثلاثة آلاف ، له أخ مؤمن فَقَدَ عمله ، فَقَدَ دخله كلياً ،

فشكا له همه ، فقال له : تعال واعمل معي ، وخذ نصف الربح ، وربحه ثلاثة آلاف كما علمت ، أقسم لي وهو صادق أنه في أول شهر ربح عشرة أمثال الدخل السابق ، عشرة أمثال ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ .

لذلك « أنفق بلال! ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً » .

لكن إياك أن تؤثر الخلق على الله ، فتنفق من دينك إكراماً للناس فهذا ليس هبة ، لا ينبغي أن تُؤْثِر جهة دون الله على الله ، والخير كله في المؤاثرة .

الشبلي أحد العلماء سأل بعض أصحاب أبي علي الثقفي ، قال : أي اسم من أسماء الله تعالى يجري على لسانك ؟

قال : الوهاب ، لأنه أول هبات الله عز وجل هو وجودك .

حظ الإنسان من هذا الاسم أن يبذل لله وفي سبيل الله مما آتاه الله عز وجل ، من علمه من خبرته من وقته من عضلاته من جهده من مكانته من جاهه ، هذا الذي يستفاد من هذا الاسم .

* * *